( التشويق للحج والتحذير من التفريط به ) خطبة جمعة .

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين ، وأوضح لنا السبيل ، وأقام لنا الحجة ، وبيّن لعباده المحجة .

بنى دينه على أركان عظام ، وأتم الخير للأنام ،

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الحكيم في شرعه ، العليم بأحوال خلقه .

وأصلي وأسلم على خير من حج إلى بيته الحرام ، فطاف وسعى ، ووقف بعرفة والمشعر الحرام .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار ، ومن تبعهم بإحسان ليوم المعاد أما بعد /

فأوصيكم ونفسي عباد الله بتقوى الله التي هي وصيته للأولين والآخرين ، وهي أول وصاياه لعباده في أول آية في سورة الحج تنويهاً بعظمة الحج وتذكيراً للملازمة بين الحج والتقوى ، فهو من صفات المتقين ، فقال سبحانه : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) سورة الحج .

أيها المسلمون

لقد فرض الله على عباده فرائض ونوّعها بمقتضى حكمته ، فمنها ما هو البدني كالصلاة والصوم ، ومنها ما هو مالي كالزكاة والصدقات ، ومنها ما جمع بين المال والبدن لتجتمع للعباد الخيرات ، ومن أعظم هذه العبادة - عبادة الحج - التي ينفق فيها العبدُ المالَ قربة لله ، ويسافر ببدنه من بلده إلى مكة يتقرب إلى ربه مولاه ، متنقلاً بين هذه المشاعر قد ترك وطنَه وولده أياماً معدودات ليفوز بالرحمات ويؤدي الفرض الذي أوجبه الله عليه .

والحج – ياعباد الله – عبادة جليلة قد جاءت في فضلها النصوص الكثيرة ، فمن أعظم فضائله أنّه سبب لمغفرة الذنوب والخطايا ، حتى قال بعض أهل العلم أنه يغفر جميع الذنوب والخطايا بلا استثناء ، وهو ظاهر حديث أبي هريرة حيث قالَ : سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ :

" منْ حجَّ فَلَم يرْفُثْ ،وَلَم يفْسُقْ، رجَع كَيَومِ ولَدتْهُ أُمُّهُ "متفقٌ عَلَيْهِ

ومن فضائله أن الحاج في ثواب من حين خروجه من بيته وتنقلاته في شعائر حجه ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مسلم يلبي إلا لبى من عن يمينه و عن شماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا " رواه الترمذي وبن ماجة.

وقال صلى الله عليه وسلم :" أفضل الحج العج والثج" رواه الترمذي وابن ماجه .

والحج من أفضل الأعمال والقربات عند الله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال : "إيمان بالله ورسوله". قيل : ثم ماذا؟ قال : "الجهاد في سبيل الله "

قيل : "ثم ماذا؟ "قال : "حج مبرور". البخاري، ومسلم .

ومن فضائله أنّه يعدل الجهاد في سبيل الله، وينوب عنه لمن لا يقدر عليه ومن لا يُكلّف به ، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال : " لا ، ولَكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور" رواه البخاري

وفي رواية : قلت : يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال : " لا ، ولَكُنَّ أحسن الجهاد وأجمله الحج ، حجٌ مبرور" فقالت عائشة : فلا أدعُ الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري وفي رواية للنسائي : قلت: يا رسول الله ، ألا نخرج فنجاهد معك ، فإني لا أرى عملاً في القرآن أفضل من الجهاد. قال :

" لا، ولَكُنَّ أحسنُ الجهاد وأجملُه حج البيت، حجٌ مبرور"

ومن أعظم فضائل الحج المبرور - وهو الذي قد كمُل وتم ، وأداه صاحبه على السنة - أنّ الله لا يرضى لصاحبه ثواباً إلا الجنة ، فأي مطلبٍ أعظم من الجنّة عند المؤمنين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة". متفق عليه

والإكثار من الحج والعمرة ينفيان الفقر عن العبد ويطهرانه من الذنوب ، يقول رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم :

" تابعوا بين الحج والعمرة، فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد". رواه الترمذي وابن ماجه .

والحاج وافدٌ على الله، ومن وفد على الله أكرمه الله ، فعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الغازي في سبيل الله ، والحاج والمعتمر ، وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم " رواه ابن ماجه وفي رواية :

" الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم " رواه ابن ماجه .

ولعظم فريضة الحج جعله الله دائماً مستمراً حتى بعد ظهور الفتن العظام ، ففي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم

" ليُحَجْنّ هذا البيت، وليُعتمرَنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج " ذكره الألباني في صحيح الجامع .

وإذا قبض اللهُ أرواحَ المؤمنين في آخر الزمان ولم يبق على الأرض إلا شرار الخلق الذين تدركهم الساعة وهم أحياء توقف الحج لفساد ذلك الزمان ، وخلو الأرض من الخير وأهله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا تقوم الساعة حتى لا يُحجّ البيت " وهو في صحيح الجامع أيضاً ، وماهذا الإستمرار إلا لكرامة الحج وعظيم منزلته عند الله تعالى .

الحج يا عباد الله

عبادة شريفة عظيمة فيها يتذكر العبد أنبياءَ الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ، ومقاماتهم العليّة ، يتذكّر أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت ، ويؤديان المشاعر في تلك البطاح العظيمة ، ولذا أبقى اللهُ لنا مقامَ إبراهيم ليكون شاهدًا للعالمين على فضل العبادة وأثر طاعة الرحمن .

ويتذكر الأنبياء الكرام الذين حجوا إلى بيت الله الحرام كموسى وعيسى وغيرهم ويتذكر محمداً صلى الله عليه وسلم ومعه الصحب الكرام رضوان الله عليهم .

وهم يطوفون بالبيت ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويقفون على صعيد عرفات ، ويبيتون في المزدلفة ، ويرمون الجمار ، وينحرون الهدي ، ويحلقون رؤوسهم في عبادات جليلة متنوعة .

فالحاج يقتفي أثرهم ويسلك سبلهم وينضم لهذه القافلة الشريفة من العباد .

في الحج اجتماع المسلمين من بقاع الأرض في مكان واحد تلتقي أرواحهم ، وتتقارب أجسادهم معلنة أنهم أمة واحدة ، ربهم واحد ، ودينهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، ونبيهم واحد ، وشعائرهم واحدة قال تعالى :

"...هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78) سورة الحج .

في الحج يتجرد الحجاج من رسوم اهل الدنيا فيلبسون الإحرام ويفارقون الأهل والأوطان يتذكر المرء ساعة انتقاله من الدنيا وقدومه على ربه وليوقن إن الزاد الحقيقي هو زاد التقوى "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) سورة البقرة

عباد الله

في الحج فضائل لا تُعد ، وحكم لا تُحّد ، وقد جعله الله من شعائر المؤمنين قال تعالى :

" وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ " (32) سورة الحج .

بارك الله لي ولكم .....

الخطبة الثانية

أيها المسلمون /

إنّ التساهل في أداء فريضة الحج ظاهر عند جمع من المسلمين ، فتجدُ أحدهم بلغ الثلاثين والأربعين من عمره ولم يؤد بعدُ فريضة الحج ، ويحتج بقلة ذات اليد ، وعدم القدرة والاستطاعة ولو كان الحال كما ذكر فقد أعذره الله ، ولكنّ المتأمل في حال الكثير يجده بالمقابل يصرف على أمور الدنيا ما يمكن الاستغناء عنه من الكماليات .

وبعضهم يرتب أمور إجازته كل عام للسفر والسياحة هنا وهناك غير مكترث أو مهتم لأمر الحج الذي قد وجب عليه لأنّ المال بيده ولكنّه قد قدّم أمر دنياه على أمر الله ومثل هذا على خطر عظيم .

فالحج - ياعباد الله - فرض واجب كفرض الصلاة والصيام والزكاة ، فهو أحد مبان الإسلام العظيمة الخمس ، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ " رواه البخاري

وفي كتاب الله التشديد على التساهل في فريضة الحج ، فتأمّل صيغة فرضيته وماذا رتب الله سبحانه وتعالى على من يرفع رأساً بأمر الله في هذا الفرض ، يقول سبحان : "...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97 ) سورة ال عمران .

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في تفسيره :

عبّر بلفظ الكفر عن ترك الحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ، وقيل أشد من ذلك

فقد قال الخليفةُ الراشد عمر الفاروق رضي الله عنه :

: " من أطاق الحج فلم يحج فما عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً "

وقال رضي الله عنه :

" لقد هممت أن أبعث إلى الولاة في الأمصار أن ينظروا من كان له جِدة فلم يحج، فليضربوا عليهم الجزية فما هم بمسلمين ما هم بمسلمين "

ومع أنّ الله من رحمته قد فرض الحج مرة واحدة في العمر إلا أنّ التساهل والتفريط فيه ديدن الكثير ، فهم يوفرون الأموال الطائلة للسفر كل عام وكأنّ الله لم يوجب الحج عليهم .

فليتق اللهَ عبدٌ قد جعل في يده المال ثم هو يفرط في أداء هذا الفرض العظيم .

هذا وصلوا على خير حج واعتمر ، وعظّم أمر ربه وامتثل ، فقد أمرك الله بذلك في كتابه.....

١٤٣٩/١١/٤

كتبها / عادل بن عبدالعزيز المحلاوي